الشاعر العاصي ...

للأستاذ محمد محمود زيتون

ولد أحمد العاصي — رحمه الله وغفر له — بفارسكور في صيف سنة ١٩٠٣ وكان أبوه من كبار التجار فيها ، وماتت أمه ، ولم يتجاوز السادسة من عمره . ولقد بدت على الغلام بشائر النبوغ ، فعني به أبوه ، حتى ألحقه بكلية الطب ، وما زال يحصل دروسه حتى انتابته حالة عصبية ، وهو في السنة الثالثة ، فقضى بلبنان ثلاثة أشهر عاد بعدها خفيفاً من بعض ماجثم على نفسه .

ولما بدأ العام الدراسي عدل عن الاستمرار بكلية الطب ، والتحق بقسم الفلسفة بكليــة الآداب ، وقرأ « تأملات ديكارت » على الفيلسوف الفرنسي لالاند ، وراقته الدراسات الفلسفية

لهذا جد العاصي في أن يعوض معايبه بالانطواء على نفسه ،

مل حتى الحديث بل صار يحيا   في حياة كأنه في مغيب

ولاسيما خلود الروح والتفاؤل والتشاؤم ، والموت والحياة ، وفي أيام الدراسة وضع رواية «غادة لبنان» ثم نشر «ديوان العاصي» سنة ١٩٢٦ ، ولما حصل على الليسانس سنة ١٩٢٩ عين موظفاً بالجامعة المصرية (جامعة فؤاد الأول)

كان العاصي مثال الشخصية المتناقضة ، فإذا ضحك أضحك حتى لتكاد الجمادات يضحكن معه ، وإذا حزن ضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، واسودت من حوله الحياة ، فغلبت عليه نزعة النفور ، وتمكن من نفسه الشعور بالنقص ، ولا سيما أنه كان قميئاً خفيض الصوت لا يكاد يبين . يقول عن نفسه :

ابن عشرين عذبته الليالي   وأطاحت بعزمه المشبوب
لم يذق لذة الحياة ولكن   ذاق أنواع قاصمات الخطوب
سام ساكن ُمعنى مروع   في شباب مقنع بمشيب
إن تحدثه قد يجيب بصمت   أو بهمس أو شارة أو دبيب

وتقديرات الانسان البدائي ، وإعطاؤه القيم للأشياء لا يتفاوت في الطابع والأساس عما يعرف للطفل في مرحلة طفولته الأولى من التغير وعدم الثبات :

يجري في التقدير وراء ما يتصل بأنانيته أو ما يدركه من ظواهر الأشياء دون ما يتصل بذات الشيء وجوهره . يبدو ذلك في تصرفاته المتقلبة — كما رأينا — .

لا يعرف مقياسا عاما في وزنه وتقديره لأنه لم يهتد بعد إلى الحقائق . وقلما يصل إلى حكم استوعب فيه عناصر الحكم الصحيح عند الرشيد .

لكن الاسلام طلب أن يكون التفتيش والاختيار والروية أساس الحكم : يقول تعالى مخاطبا المؤمنين : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (١) . ويقول مخاطبا رسوله الكريم : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون (١) » . فلم يرض أن يكون الظاهر المدرك لأول وهلة أساس الحكم ثم العمل والتصرف .

٥ ٥ ٥

وهكذا في كل جانب من جوانب الطفولة الانسانية — في الطفل في مرحلته الأولى أو في الانســان البدائي — لو وقفنا على مظاهره وعرفنا بطريق المقابلة بظاهر الرشد والنضج العقلي وجدنا الاسلام يمثل منتهى الرقي حسب معايير الانسان . ومع ذلك ليس من صنع انسان كامل ، لأن هـذا الإنسان الكامل لم يكن حقيقة واقعة ولم يزل بعد فكرة ، وسيظل فكرة ومثالا فقط . الاسلام وحي من الله الذي هو فوق التجديد الإنساني ، إذ هو سر الوجود وسيبقى سر الوجود ما دامت السموات والأرض ، وما دام الإنسان يعيش ويبحث (٢) .

محمد البهي

(١) سورة الحجرات آية ٦ .

(١) في سورة المنافقين آية ٤

(٢) من محاضرة ألقت في معهد التربية العالي بالاسكندرية في مساء ٢٢ فبراير الماضي ١٩٥٠ .

ومداومة الاطلاع. وزادت ظروفه العائلية من حدة نفوره من أبيه الذي تزوج من غير أمه بعد موتها ، وهجر أخويه واعتزلهما وأقام بالقاهرة .

وكان لشيشرون أثر قوي في تسعير جذوة نفسه : قرأ كتاب « كتاب روما Writes of Rome » وأخذ يقرأ في صمت عن الموت حتى لقد كان يضع خطاً بالقلم الأحمر تحت كل كلمة « الموت » في الكتاب .

وبعد أن غمرته هذه الدراسة السوداء كتب خطابا على الصفحة الأولى من الكتاب قال فيه « إلى من يهمهم أمري : جبان من يخشى الموت، ومن لا يرحب بهذا الملك الكريم الذي هو لي كالرائحة الزكية ... أحمد العاصي »

وتملكته فكرة الانتحار ، فلم يجد عنها مصرفاً ، حتى إنه كان يفكر ويمعن لا في العدول عن الانتحار ولكن في اختيار أيسر السبل إليه ، وأخفها وطأة عليه . وقف على كوبري محمد علي ذات مساء ونظر إلى الأمواج ، واستحب أن يلقف بها، ويحتضن الموت، ولم يكد يهم بذلك حتى راجعته سيدة إفرنجية كانت تتمشى ساعتئذ خلفه ، فعدل ولكنه آثر الموت عاجلا أو آجلا ، فأوى إلى فراشه وبخع نفسه بمادة كاوية ظلت تحرق حجرة نومه من الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة من اليوم التالي حيث اندلعت ألسنة الدخان من خلال النوافذ ، ولم يكد المارة يقتحمون المنزل حتى رأوا هيكلا بشرياً صار هشيما .

وهكذا آثر الموت الزؤام على الحياة الباسمة، واتى ربه سنة ١٩٣٠ أما شعره فكان مرآة هذه النفس الجامحة الجامحة ، وهو يمهد لديوان شعره بهذه العبارة الصريحة : « أنا في محنة من محن الدهر ألزمتني العزلة حيناً فشعرت بحاجة حادة لأن أشغل نفسي بقول الشعر فيما شغلني من شئون الحياة من قبل ... » وصدر له ديوانه أمير الشعراء أحمد شوقي بك بأبيات منها :

هـذا شباب السحر يلمح ماؤه | من جدول (العاصي) ومن ديوانه

ويقول منها :

ويكاد يلمسك السرور يراعه | وترى يد الأحزان حول بيانه
يشكو الزمان لنا ، وويلك يافتى | نامت بمهجته همـوم زمانه

ولتعلمن إذا السنون تتابعت | أن التشكي كان قبل أوانه

وهذا الشاكي الذي فارق الحياة غير آسف عليها ، ولم يبلغ السابعة والعشرين ، عاش نهباً للآلام الدفين ، واليأس اللافح ، وكانت أشعاره مرجلا لصراع العاطفي المنيف ، وأبواب ديوانه صورة من ذلك كله ، فثمت باب الأدب، ويشمل ما قال من شعره في عهد الاطمئنان — كما يدعي — وماهو باطمئنان وباب النقمة ، ويشتمل على ما قاله في عهد المحنة والتبرم بالحياة ؛ ثم باب الغزل والفخر وفيه شعر المدح وتشريح الهم؛ ثم باب لمتفرقات من الشعر الذي قاله في أوقات متباينة، وختم ديوانه بمأساة هو بطلها وسماها « قصة الموت »

قرأ صاحبنا للفلاسفة القدامى منهم والمحدثين ، فأوغل في الأعماق متدبراً متفكراً عله يثوب إلى نفسه التي افتقدها، ولكنه راح يتعجل « سر الحياة » فارتد عن حجابه الكثيف ، لايدري غير شيء واحد هو أننا :

نحن نسعى في فلاة ، لا نرى | غايها والكل يغري بالسراب

وأن الناس نوام فإذا ماتوا انتبهوا ، وعلى الناس أن يعودوا من حيث جاءوا ، هكذا يدعوهم العاصي :

يا بني الأرض إن منها نشأتم | فارجعوا حيث كنتم في أمان

ويمضي الشاعر يفلسف الحياة وخداعها ، وعيش الناس فيها ، والمنى التي من دونهن المصاعب ، وحقيقة الإنسان، وما أوتي من عقل يتباهى به الناس ، وإن لم يكن فيه شفاء من جهالة، ثم يتهكم بهؤلاء الذين يتحدثون عن الآخرة :

يا صاحبي لقد تحدث بعضهم | عن عيشة أخرى وعن أخبارها
لله درهم ، فهـل قد جاءهم | يا صاحبي البعض من زوارها

وينقلب بعد ذلك على الإنسان شيخ الجاحدين :

خير هذي الأرض يسعى نحوه | وهو ما زال زعيم الناقمين

ويعاود التفكير في سر الحياة الذي لن يدركه الإنسان إلا أن يترك هذا العالم المترذل :

نحن سر في الدهر، والدهر سر | هو عنا مسـتتر محجوب
نحن في العيش كلنا كـكرات | قذفتها — كما تشاء — الخطوب

لهذا صار عبداً الملذات ، وبعجرابها سيضحى ويمسى ، فلئن سألته كيف استعبدته اللذة أجاب :

ضقت بالهم فانتقمت لنفسي بالملذات من هموى وبؤسى

وهكذا قهره الدهر ، فانتهب اللذة ، وانتقم لنفسه مما ترزح تحته من أرزاء ، فوجد في النسيان ما يباعد بينه وبين مواقع الصراع .

غير أنه يتمسح بالزهد فيها ، ويكبر شرة النفس ، ويقول :

حسبكم ما سد جوعاً أو صدى أو فيكم عاجز عن ذا وذاه

كل أطماع الفتى من عيشه ضلة أوقعه فيها هواه

وهو إذ يبذل هذه النصيحة يزجى بين يديها خبرته بالحياة :

لقد فعل الخير فصار بخساً ، وطالب العلم فهان في نظر الناس

ويتأثر العامى بأفلاطون في نظرية المثل حيث كانت النفس خيرة فهبطت إثر الخطيئة إلى عالم الرجس والفساد بعد أن « كانت الدنيا صفاء خالصاً »

وتمضى هذه العاصفة التى زعزعت من خواطر العامى ، وتتلاشى أصداؤها في قرارة حسه حتى إذا هدأت قليلاً اطمأنت نفسه بالإيمان فقال :

آية الله بدت في خلقه في جمال نحن في الدنيا عبيده

وفي قصيدة أخرى عن الإيمان أيضاً يدعو إلى التذرع بالقوة ، ويعيب على القائلين بأن الزمان رمى فلاناً « فاذا للزمان وللنزال » وجدير بهم أن يعترفوا بضعفهم وعجزهم من ملاقاة الهموم المتوالية . ولكن يخفف همنا هذا التوالى » وخير من لوم الدهر أنا نضرع إلى الله .

ما شاء الله ! هذه لمحات الإيمان تنبثق من لحظة إلى أخرى على الشاعر المسكين ، ولو أنها وجدت إلى جواره الصديق الطبيب لعاد حسه المرهف على الأدب والحكمة بأسمى المثل ، ولشفى أنفس الناس ونفسه مما يجد ويجدون

وفي قصيدة « الإقدام » التى يقتحمها من أعماق اللاشعور ، يحث غيره على المجد والمعالى بينما يزجى نفسه إلى الموت في عجل ، وكأنى به يتخيل نفسه حين يقول :

« والمرء فوق فراش الموت منطرح »

ثم يقول راضياً عن الأيام ، منتظراً الرحيل في الأبدية :

دعنى أقضى بها عمرى وأرحل من دهر لدهر ، وإن العمر أجيال

ويقول مرة أخرى في سر الحياة :

وإذا الموت أتى فاستقبلوا ركبه ، وليهن فيكم من يراه

وهو يستوحش الناس ، ويدعو إلى اعتزالهم لما يتباينون فيه من الأحكام على الأشياء والأعمال ، ويقول :

رب أمر خلته حقا وقد خاله الناس حكيما ومصيبا

رب فعل أنت تأتيه لكي تطرب الغير فتلقاه غضوبا

رب رأى كان عذباً ناضجاً عد من يأتيه خداعاً كذوبا

فاتخل الناس يحيون كما قد أرادوا ولتعش فيهم غريبا

ليست العزلة عنهم وحشة أنت بالعزلة قد تحيا طروبا

إن من أكثر من أصحابه لا يرى يوماً من الدنيا رطيبا

إن سوء أمن أخ أو صاحب منهض ما بين الإثنين الحروبا

كان العامى يستشعر في نفسه بغضا متبادلا بينه وبين الناس وإن كان لا وجود له في عالم الواقع . فليس اختلاف الناس فيما بينهم في أحكام القيم إلا دليلا على حيويتهم ، وبغير ذلك لايتميز خير من شر ، ولا حق من باطل ، ولا جميل من قبيح

والذكاء أو العقل في نظرة علماء النفس إنما هو « التكيف بالبيئة » وإذن تكون العزلة نتيجة لاضطراب النفس ، وارتباك العقل ، وعلامة على تخلف الفرد عن ركب الجماعة .

حياة كلها يأس وشقاء ، وبؤس وهموم ، وأنفاسه موزعة بين حسرة وزفرة ونقمة :

فإن تكن الليالى مثل هذا
فإن الأمن عندى في اعتزالى

وصاحبنا — مع ذلك معذور ، والمجتمع الذى حوله مسئول عما انتابه ، ومأخوذ بجريرته التى ارتكبها ، فلو أنه لقى في صحراء العيش واحة للصداقة تروح عن نفسه ، لفض همومه ، وسلك مع السالكين إلى المجد الذى طالما داعب طموحه ، وهو

الفليسوف المفكر ، والشاعر المرهف ، ولكنه يقول :

ضاعت سعادة نفسي ، وانبرى أملي
ونال مابي من جسمي فأضناني
إني ظمئت إلى خل ليؤنسني
فلم أجد مؤنسا ما بين خلاني
فعدت للهم عل الهم يؤنسني
إن كان في الهم أنس الواله العاني

فلم يستجب له أحد ، وذهبت صرخاته مشلولة الأصداء .

قولوا لسارية الآلام في كبدي
هل تقصرين ، فإن الهم أبلاني
واحنوا على إذا ما الهم أرقني
وباركوني إذا ما الصبر وافاني
ولا تبكوا على نفسي إذا جزعت
فإنني مرجع نفسي لإيماني

لهذا كله حلت له العزلة بدار « لايزور ولا يزار »

أهيم بوحدتي ، وبقرب نفسي ... فود الناس حل به البوار
وحسبي أنني غرد طروب ... بأفكاري ، وما في ذاك عار

فلا عجب إذا نقم على الحياة ، وعلى الناس ، وعلى نفسه إذ يقول :

يوقد النقمة في قلب الكريم ... سوء ما يلق من الدهر الأثيم

وإذا ما تحطمت النفس اعتل الجسم ، فلا راحة ، ولا انسجام ، واختل التوازن بين القوى في كيان الفرد .

عجع الآلام جسمي ياله ... من صبور وحول وكظيم

بل ويرى هوة فاصلة بينه وبين الناس ، ينكرهم وينكرونه لما يحس في نفسه من نقص :

اخالني وأخال الناس ترمقني ... عجيب خلق يحير الناس مرآه
ولو رأني مأخوذا ومستلبا ... لخلتني موكلا بالغيب أرعاه

ويقيني أن شاعرنا غير صادق إذ يقول :

لكنني وخطوب الدهر تعصف بي ... ثبت على كل ما في الدهر ألقاه
ألق الهموم وتلقاني وأتركها ... يوما وتتركني : كل لمثواه

هذه مغالطة نفسانية ، وتعويض داخلي ، ليت له قوة التأثير في نفس شاعرنا ولكنه بات صريعا من طول ما أوهت عزائمه الهموم التي قعدت بهمته ، فأخلد إلى الأرض . قال :

شعرت بالهم حتى لا أحس به ... وقد تقيد فتى في الهم سكرته
أبى الزمان بدائي ثم أعجزه ... دواء دائي ، وضاقت عنه همته
يا قوم ليس تقيد المرء همته ... إن أقعدته بهذا الدهر لوعته

وكما ضاق صاحبنا بالخل الوفي ، ضاق أيضا بالعيش الهني ، وهو أظمأ ما يكون إليه ، ولكن أين هو : —

ولعيش هانيء بي ظمأ ... بالم ما بعده للنفس ري
يا بني الدنيا ويا عشاقها ... ويكو أين هو العيش الهني

ثم يعود إلى لوعته تساوره ويساورها ، ويحاول أن يزحزحها عن كاهله فيكل عنها ، فيغالط نفسه مرة أخرى ، ويدعى الثبات أمام ويلات الزمان .

لا يثني عنه الزمان ولا يني ... عن نيله ، وهو الكمي الأصيد

ويتحدث بعد هذا الصراع ، وهو يجرر أذيال الهزيمة :

وما أنا إلا بعض هم تجسمت ... معانيه حتى أصبحت جسدا يجري
يقولون أين العزم قلت مضت به ... هموم عدت يوما على العزم والصبر
كأن صروف الدهر بيني وبينها ... وما أحد يدري قديم من الوتر
فتى في إهابي ضاق صحن فؤاده ... بجيش من الآلام في ضحوة العمر
ويأبى الأسى المضني فراق صريعه ... إلى أن يرام أو دعوه ثرى القبر

ذلك بأن الموت طبيبه الذي سيشفيه من داء العيش :

أنا في الدهر حائر كيف ألقى ... أي أنس بعابه فأطيب
كيف أهنا بالعيش ، والعيش عندي ... مرض ، والممات عندي الطبيب

ولطالما بحث عن همه ليعالجه ، فما يرى إلا سحائب من دخان الهم يضيق بها صدره . ومما يزيد في ضيقه أن الناس إذ يريدون أن يخففوا عنه زفرة أو محنة أو لاعة أو نقمة إنما يلفظون بكلمة « أنت واهم » فما تفتح مغلقا ، ولا تأسو جرحا .

إني لأبحث من همي فأخطئه ... لكن أشم فؤادي وهو يحترق
كأن صدري وما ضمت أضالعه ... حصن إليه جيوش الهم تستبق
قالوا وهمت ، ونال الوهم بغيته ... مني فهل وهموا في القول أم صدقوا

وفي قصيدة أخرى يقول :

قالوا : اصطبر ، قلت إن الصبر قد نفذا ... فما يفيد أخو هم اذا اتأدا

قالوا اعتزم، قلت ضاع العزم وانفردت   بى البوائق حتى أوهت الجلدا
ما حيلة المرء إن مال الزمان به   إلا رضى بأسى يفرى له الكبدا
أرعى هوى، وترمانى ولا أحد   يحنو على، فألقى فيه معتمدا

ويتذكر العاصى ليالى أنسه، ويداعب ذكريات عزه، ويتمنى لو تسكت عنه الهموم ويهدأ قلبه المتمرد:

فإن كان هذا فى غد طاب لى غد   وإلا فصبرى فى غد متمرد
فقد سار بى شوطا بعيدا عن المنى   وما هو للسير الطويل معود
فيا غد لا وافيت إلا بنصرتى   فإن حياتى فى يمينك يا غد

وهذا آخر الشوط الذى استسلم عنده الشاعر من شدة الإعياء. وباب الغزل الذى طرقه احمد العاصى يفضى بنا إلى تياوين أحدهما قبل العاصفة العاطفية التى جمحت به، والآخر وهو يتخبط فى دياجير تلك العاصفة. وعلى كل حال فإنه عشق لا لشيء إلا لأن له قلبا كسائر قلوب الناس، وكل ما بينه وبين غيره أنه أحد هؤلاء الذين فشلوا فى الحب فكان هذا الفشل ضغثا على إبالة. فهو يقول:

خبرى يا أمة العشق: فتى   زار يوما ساحة العشق فضل

على أن باب الفخر ينم عن فترة من التجلد سبقت المحنة التى استهدمت عليه:

لمركز ما فى إلا معاند   لدهرى صليب الجانبين سؤول

ويمضى فى هذه القصيدة معبرا عن حبه الخير وفعله المعروف:

أحب فعال الخير والصدق شيمتى   وفى حكمتى لى قائد ودليل
وإن رام منى الدهر مالا أوده   رددت جموح الدهر وهو ذلول

ولعل الأبيات التالية تنبىء عن مسلك الشاب الطموح الذى لا يلوى على شيء وهو يسبيل المعالى من الأمور:

وما السير للعلياء إلا لذاذة   لنفس فتى ما حل عقدته الدهر
إذا ما ركبت الليل فالجد مطلبى   وسيرى مد ليس يتبعه جزر
أهم فلا أبقى لدى النفس مطلبا   وأصبح والآمال فى ساحتى كثر
فأما ملذات النفوس فإننى   أرى أن سعى المرء فى إثرها نكر

ويستطرد فى هذه القصيدة مستنكرا أن تعوقه عن مطلبه السامى بنت كرمة (تضيق بها فى الدهر أخلاق الزهر) أو أن يهيم بثانية لأن:

لنا عزة من دونها كل مطلب   وهمة نفس ضاق فى أمرها الدهر
وليس بنا للناس إلا محبة   وليس بساح القلب من أجلهم غمر
ونسعى لهم حتى نقيم ضعيفهم   وننهض من يهوى بعزمته الفقر

وهكذا كل الفضائل الاجتماعية من رد الظالم وإيواء الشريد وبغض الاثيم وحب الناس جميعا، ونزعة الخير غالبة على شاعرنا فى فترة اطمئنان نفسه وهدوء انفعالاته.

ودأبى فعل الخير حتى لو اننى   سئلت لما أدرى لمن أنا فاعل
ومابى حب للحياة وإنما   أعيش لتحيا فى حماى الفضائل

فهو كهف للخيرات وحمى للفضائل. ويشهد معاصروه من زملائه بما كان له من آراء صائبة عند مناقشة أساتذته، وهو يسجل هذا فيقول:

أدفع القول فلا أبقى فتى   سامعا لى لم يصر من تبعى
وأرى الحق فلا أتركه   ضائعا ما بين قوم ضيع
تعرف الأقوام عنى أننى   أسمع الأقوام مالم يسمع

وأغلب الظن أن لهذا البيت الأخير صلة بما وقع بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين بك يوم اعترض احمد العاصى أثناء إحـــدى محاضراته، فلم يسمع الأستاذ واستمر يحاضر، فحسب العاصى أن الدكتور يحتقره ويتغاضى عنه، فحز ذلك فى نفسه وامتلأ غيظا، فلم تكد تنتهى المحاضرة حتى هب العاصى محتجا على الدكتور كيف يسأله فلا يجيب، فأخبره بأنه لم يسمعه ولو كان سمعه ما تردد فى الجواب والنقاش ولاسيما مع أحمد العاصى بما عرف عنه من قوة الحجة، وإجادة الجدال، ومع ذلك أصر العاصى على احتجاجه، والدكتور يخفف من نفسه ويطيب خاطره على الرغم من خفوت صوت العاصى، ويقول:

أنا فى العلم غلام لوذعى   وإذا ما قلت فالرأى معى

ومن ثنايا الديوان يخرج الشاعر المتمرد المنطوى على نفسه إلى عالم الناس جريئا قويا ثبت الجنان حقا، فيعبر عن آمال مصر فى جامعتها، ويحفز الهمم فى حماسة الشباب، مفضيا عن محنته هو:

لا يصد المرء عن أغراضه   محنة تزجى إليه أو سقم

ويؤذيه أن يرى ما بين بنى قومه من شقاق، فيعتب عليهم فى رفق:

تريدون بالشحناء نيل مرادكم وترجون الاستقلال بالأقوال

ويؤثر أن يختم ديوانه بقصة الموت ، وهى تلك الساعة الرهيبة التى يستعجل فيها ملك الموت ، مرحباً به ، ويستحثه على الصعود إلى العالم الباقى بروحه ليخلص من الأرجاس الدنيوية والهموم القاتمة :

ساعة يؤنسنى فيها الملك هامساً هيا لمن قد أرسلك
قائلا لاتخش سوءا يافتى ها هو المركب قد هيأت لك
سر حثيثا لا تمانع إنما فى غدر تنثنى على من أوصلك
واسع بالروح إلى المولى ولا تذكر الدنيا فليست منزلك

ثم يمضى : —

ها هى الحدباء قد جهزها لك من قبلك للموت سلك
فاشدد العزم وهيا لترى لذة كبرى وتحيا كلك

ثم يتخيل نفسه فى وادى الموتى حيث يبعث منه برسالة إلى الأحياء فيقول :

كم أنا رافه هنا بحياتى وبما عندنا من اللذات
كل ما نشتهيه تحت يدينا ولنا ما نشاء من طيبات

هذا هو الشاعر الماصى الذى نفث فى قيثارته أنفاسه ، ووقع على أوتارها نبضات قلبه فجاءت ألحانه صادقة فى التعبير عن وجدانه . لم يتكلف الشعر ولم يكن إلا كالسيل يندفع نحو غاية عنيفا غاية العنف ، ثم يمضى بعد ذلك كالجدول المنساب بين لفيح النيران فى جوف الظلام .

نعم صدق الماصى فى التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، وبرع حقا فى اقتناص كل انفعال تردد بين جوانبه ، فتصيد له النغم المناسب ، وقيده فى شعره الحر الطليق ، فواتاه اللفظ ، وأسمفه اللحن ، ودانت له القافية ، قانعا عن ذوق ولا كياق خطاه . ولو كان للشاعر المرهف رفيق يفضى إليه بغمرات نفسه ، لاستطاع أن يطرح من أثقاله ، ويروح من همومه ، ولكنه للأسف — كان كالظمآن فى بيداء اللانهاية : حرم عطف الصديق ، وحنو الشقيق . وأنس الرفيق ، وجافاه الحبيب ، وفارق الأم ، واعتزل أباه ، وهجر البلد ، ونأى بجانبه . فتقاص شبابه ، وانطوت آماله وعكف على اللذات ، وفلسف الأحزان كما أراد .

هذه الحياة كانت آفاق الشاعر الماصى وحده ، لأنه اعتصرها بعيدا عن الناس واستدار حول نفسه فى إطارها من الداخل . غير أنه لم يحفل بالطبيعة فى كثير ولا قليل . ثم اقد عطل جميع منافذ إحساسه عن مجالى الكون ، وماله يرى ويسمع وهو فى « كهف أفلاطون » ليس أمامه فيه إلا أشباح الفناء وقد ظنها حقائق تجسمت حتى أخذت تخايله فى حياة كلها مظلم صامت . الطبيعة الحسناء ، والقاهرة وضواحيها ، والفجر والربيع والسماء والماء والجداول والصفاف ، والزهور الحسان … لم يكن لهذه التهاويل ظلال فى جوانب الشاعر المتمرد ، فخلا منها شعره ، وكان كدودة القز تغزل خيطها فى عبس الظلام حتى يؤذن لروحها أن تهيم كالفراشة فى مسبح الضياء .

ومهما يكن من شىء ، فتلك شاعرية لها ميزتها التى تكفل لصاحبنا « شخصية » فى الشعراء الخالدين ، من أوضح عناصرها وأبرز معالمها ، ما قاله أمير الشعراء فيه :

ولتعلمن إذا السنون تتابعت أن التشكى كان قبل أوانه

محمد محمود زيتون

تفتيش مبانى قبلى القاهرة

يعلن تفتيش مبانى قبلى القاهرة عن مناقصة الأعمال الاعتيادية والتجارية اللازمة لانشاء دور علوى مبنى مصلحة الشهر العقارى الجدد لفتح مظاريفها يوم ١٢—٤—١٩٥٠ وقيمة المستندات هى جنيه و ٧٠٠ مليما خلاف ١٠٠ مليم أجرة بريد وكل عطاء يجب أن يكون مصحوبا بتأمين مؤقت بواقع ٢ ٪ من قيمته وإلا يعتبر لاغياً فضلا عن توقيع جزاء الحرمان على صاحبه من التعامل مع المصلحة .

٤٣٩٥